

بطرح قصة عبد الحليم عبد الله « للزمن بقية »

بين الزمن الضائع والزمن الباقي

بقلم حليم محمد القاعود

معهم الشفقة بدلا من العنف ، فيتكاسل الفلاحون وينقص المحصول .. فتسود الدنيا في عينيه ، ويقرر السفر الى « مصر » بعد أن توفي « النجمي الكبير » العمدة وخلفه « طه » في منصبه . ويبحث عن نفسه في القاهرة تلك المدينة الواسعة الممتلئة بكثير من المتناقضات .. وها هو يقابل رئيس تحرير مجلة « المجلة الجديدة » فيشعر بالفصالة ويحس بالقصر لفرغه الثقافي ، بيد أنه يلتقي في نفس المجلة بشخصية مركبة من الخفة والمعرفة والبساطة والعمق ، انها شخصية « البدوي السيد » البديل لعم « محمد الجندي » في المدينة .. لقد ساعد « صلاح » على أن يكون شيئا .. فيكتب في المجلة ويترجم بعض ما يكتب في الصحف الأجنبية ، لكنه سرعان ما يفصل مع صاحبه « البدوي السيد » من المجلة ، فينتقلان للعمل في « دائرة المعارف التي يعمل بها رهط من الشيوخ وفقوا أنفسهم في سبيل ذلك العمل الصامت الجاد .. فيخرج منه صلاح النجمي بحصيلة واسعة في شتى فروع المعرفة فتزيد ثقة بنفسه واعتدادا .. وتخطر له فكرة شراء « المجلة الجديدة » حين عرضها صاحبها الاستاذ « النهامي » للبيع نتيجته لظروف سياسية فيذهب « صلاح النجمي » الى القرية ويبيع نصيبه من الارض الى اخيه ويعود الى القاهرة ليخوض تجربة جديدة في ميدان الصحافة بين مد وجزر .. ويعيش حول « المجلة » نفر من الشبان المتطلعين الى هذا الشيء الجديد « صلاح ومجلته » فقد اعتقدوا أنه هو الشيء الذي يبحثون عنه وينتظرونه !

وفي خلال ذلك تعلن الدولة عن انتخابات لمجلس النواب ، فيطرق طه النجمي الباب على اخيه داعيا اياه لخوض التجربة ، وبعد اغراء وتردد يقرر « صلاح » خوض المعركة الانتخابية متممدا على شعبيته لدى أهل قريته وشباب الدائرة ، ويلتزم صلاح الى القرية يشيخه خوف « البدوي السيد » عليه ، وأمله بالنصر .. وتكون النتيجة أن يبيع اخوه « طه النجمي » الى الخصم « عبد الجليل » ويرجع « صلاح » الى القاهرة متنكسا بعد خديعة وغدر مريرين ، ولكن « البدوي السيد » الذي كان مشفقا عليه من خوض التجربة ، لا يتركه للياس ، ويبت فيه العزيمة من جديد ويتجهان الى العمل مرة أخرى في « دائرة المعارف » التي انتهت من حرف « الحاء » وبدأت في حرف الغاء « الخير والخليفة وخيبر وخيز .. » وتقول « اسرار » السيدة الوحيدة في القصة « تشجعوا يا رجال .. فما زال في الزمن بقية » . ان رحلة صلاح النجمي التي لخصناها بشدة تعيش في أعماق كل عربي .. خاصة العربي المثقف .. وقد شهد هذا العربي الرحلة قاسية مريرة وجرح قلبه غدرا وخيانة ، وان « صلاح النجمي » لرمز للمعاناة والتطلع .. حقا اذا كان صلاح يرى .. فان العربي يرى .. واذا كان ساخطا فهو ساخط ، بيد أن من يتمرد ويحتج وينطق .. ليس له وجود الا في الأعماق الخبيثة تحت ركام الخوف والسوط !! ولكننا نجد في القصة عم « محمد الجندي » .. الخادم الامين في آل النجمي منذ زمن طويل هو الذي يتمرد ويحتج وينطق ويقبول الحق دون خوف أو مواربة .. أنه لا يملك شيئا فهو لا يخاف على شيء .. فقير بلغ أرذل العمر ماذا ينتظر ؟ .. لا شيء .. ولذلك فهو يصف مجتمع القرية من خلال علاقته بالعمدة « النجمي الكبير » « .. وناس قريتنا أعرفهم طيبا .. يشربون قهوة أبيك ويصقون في فنجاله ..

يتلهف القاري العربي في فترتنا الراهنة على كل إنتاج جديد تجود به قرائح الادباء ، سواء كان هذا الإنتاج قصة أو قصيدة أو مقالا أو مسرحية .. ومبعث هذا التلهف ان القاري العربي يريد أن يدرك مدى آثار الهزيمة وانعكاساتها على صفحة الادب الراهن بعد فترة من الزمن كان يشك خلالها في كل كلمة تقال أو تصدر عن الادباء والكتاب ، فقد فوجيء اثر الهزيمة بانهار كثير من الابنية الادبية وزيفها ، وهذا مدعاة للشك على الاقل ، والشك أخف من الرفض المطلق على كل حال ! ولقد ظهرت بعد الهزيمة كتابات جيدة لها قيمتها في ميدان الفن الادبي خاصة وميدان الكلمة عامة ، ولا يفضى من قيمتها ان اتخذت في بعض الاحيان صورا عنيفة لنقد الذات ، والثورة على بقايا الظلال الكئيبة للزمن السالف ومحاولة استشراف المستقبل عن طريق المعاناة والتجربة الصلبة التي تتسم ببذل الجهد والمثابرة العنيدة .

ومن الادب الجديد الذي انتفض على اثر الهزيمة قصة عبد الحليم عبد الله الجديدة اسمها « للزمن بقية » وهي انتفاضة على الظلال الكئيبة والابنية الزائفة في أدبنا وحياتنا الاجتماعية .. وتتحرك من خلالها شخصية البطل « صلاح النجمي » ليكون انسان ما بعد الهزيمة الذي يعاني عذابا وحيرة وألما وغربة وضياعا ، ثم يحاول أن يبحث عن نفسه ليكون شيئا ما في هذه الدنيا التي انكفأت فيها شواهد الحقيقة ، وجثت أمامها معالم الصدق والراحة ، واضحى كل من يقول الحقيقة أو يتفوه بها صادقا مع نفسه صريحا مع ضميره محل غضب من أولئك العتاة ، الذين يعيشون في الظلام ومن أجل الظلام من أمثال « النجمي » الكبير وابنه « طه » شقيق « صلاح » !

ان « صلاح النجمي » هذا الذي فشل بعد اول مغامرة جديدة في حياته صمم على أن « يتحرك ليعبر . لم يكن ناقما على نفسه .. بل كان في قلبه نغمة حقيقية على الناس - لو ان أحدا يفهمني - كانه يتكلم بلغة وهم يتكلمون بغيرها ، والاشارات ممنوعة . شعر أن منطقة مثل المناطق المنزوعة السلاح تقع بينه وبين الناس .. خلاء .. خاو تماما .. لكنه يحترم نفسه ويقدرها . لماذا ؟ انه يمسلا كل كرسي الاكرسي الفصل ، ويفهم روايات شكسبير ما لم تكن مقررة اما اذا قررت فلا .. ص ٤ - ٥ .

لقد رسب الطالب « صلاح النجمي » في شهادة أتمام الدراسة الثانوية . وها هوذا يتمزق .. تتنازعه حالات شتى .. خوف وكبرياء ! أبوه « العمدة » أو النجمي الكبير ومن حوله شهد الزور .. ثم أخوه « طه النجمي » بصلفه وعجرفته .. وهذا عم « محمد الجندي » الخادم الامين في الاسرة والذي يقول الحق دون خوف أو وجل في هذا العالم المزيف المليء بالزور ! ما أجدر « صلاح النجمي » بحب هذا الرجل ، وطلب المثل الاعلى فيه .. حتى حين قرر الهجرة الى خارج مصر يستشير عم « محمد الجندي » لانه وجد لديه الحكمة مع الجراءة .. آه لو تمت تلك الهجرة لتغيرت الامور وكانت النتائج شيئا آخر .. ولكن الحنين والارتباط بالارض شيء قديم في الأعماق .. !

لقد عاد « صلاح النجمي » بعد فشل مشروع الهجرة ليمر بتجربة فاشلة جديدة .. انه عاد ليمارس الحياة في القرية بين « آل النجمي » ويقود الفلاحين من أجل زراعة الارض ، ويستعمل

هكذا علمهم هو .. والغريب أنهم تفاهموا في صمت على أن ينافقهم وينافقوه .. « ص - ١١ - .

ومن خلال تأثر صلاح وهو شاب يافع بعم « محمد الجندي » فإنه يرى رايه في ناس قريته « يرى ان الحركة اشهر دلائل الحياصة . ويعجب لمجموعة من الناس لا يكادون يفارقون مجلس ابيه العمدة .. كالتة نيل يهزون رؤوسهم موافقين طول النهار دون ان تتعب أعضاؤهم.. حتى اذا ما عادوا الى زوجاتهم انقلبوا ناقدين ناقمين » ص - ٢٢ - .

ان عالم الصمت الذي يطبق على مجتمع القرية لا يجد فيه صلاح اية بارقة من أمل او خير .. انه « عالم ليس فيه شيء يتنفس الا بطريقة النبات » ص - ٢٥ - . ومحور هذا العالم أخوه « طه النجمي » رمز القوة القاهرة المظنة لكل بهجة او فرحة .. فهو عالم تودد فيه معالم الخير والإنسانية .. عالم لا يعلو فيه صوت بالفناء الا اذا كان « طه النجمي » غائبا .. يختلج وجدان صلاح بما يرى في هذا العالم فيعجب كيف « تستطيع النفوس كمجموعة ان تحتل هذا الباطل » ص - ٢٩ - .

ان تجربة صلاح في الريف دفعته للهجرة اولا هربا من جحيم لا يطاق ، جحيم آل النجمي .. ولكن آصرة الميلاد والنشأة ، ورعب القرية والوحشة يعيدانه ثانية الى ارض القرية فيجرب حظه من جديد.. يتعامل كإنسان يريد الخير ولكنه يخفق .. يربح الفلاحين فيقول المحصول ! ولا تجد أفكاره أي صدى ايجابي بل تضيق في عالم العقم والجمود والارهاب « قد تضيق فكرة ويهان نبي . ويهرع الناس الى المعابد الوثنية وليس في قلوبهم شيء من الرثاء حتى الغامض لنبي منبوذ .. - ٣١ - . انه يبحث عن الحقيقة وسط الزيف ، واذا كان يعرف ما هي الحقيقة فإنه ينتظر مولدها ومن أجلها يود أن يكون شيئا يؤثر فيها ويتأثر بها ولو عمل مع الشيطان كالاستاذ « التهامي » رئيس تحرير « المجلة الجديدة » .

ويبدو لنا تأثر صلاح بشخصية « البدوي السيد » تأثرا واضحا كما تأثر من قبل بعم « محمد الجندي » .. وان شخصية البدوي السيد لشخصية مجرية عركت الحياة وتستطيع ان تدرك كنه الاحداث وتفسرها بحكم الحاسة الفطرية التي نمت بالتجارب .. خاصة تجارب الصحافة . وانه ليعطي بطلنا من التجارب والدروس ما يعجز عنه الكثيرون ، وانه ليلمح بحسه الفطري وتجربته الشخصية مدى حماسة البطل واستعداده للقيام بالدور البطولي المثالي في المجتمع المزيف ، ولكنه يشفق عليه من الانتهازية والخيانة .. « لا تياس ان كنت تحب العمل مع الاستاذ التهامي .. معي .. فتأكد ان ذلك ممكن غير أنه لا بد ان يطعمك ضد الطموح وضد المطامع . هناك أربطة يلفونها بقسوة حول حماسة الشباب فاذا بها تتحول الى مسالة ومن المسالة الى الخضوع ومن الخضوع الى الذل » ص - ٨٥ - . وليت « البدوي السيد » يقف عند هذا - أي ادانة الاشخاص فقط - بل نراه يدين الفكر السائد عامة ، والغريب بعد ذلك انه يتفاعل بالتغيير :

- عندما يصبح الفكر تجارة تصبح الاسواق كلها متساوية .
- ماذا تعني ؟

- اعني ان التجارة في « الفكر » مثل التجارة في الانسان . كل اسواق الرقيق سواء .. وليس هناك نخاس مثالي ونخاس منحط .. لذلك فلاق حيث أنا .. والاستاذ التهامي عرفناه ... (صمت) .. ومع ذلك فلا بد أن تتغير الدنيا » ص - ٦٦ - .

وان التفاؤل بالتغيير ليس مطلقا ، ولكنه تفاؤل مشوب بحذر ، وبإدراك داع لصعوبة هذا التغيير وان هناك عناء ما بعده عناء .. تماما كما حدث بالنسبة لتحرير المرأة أو تغيير وضعها الاجتماعي بمعنى أدق :

« اذا كانت الدعوة الى سفور الوجه لقيت عناء في الشرق ، فان

الدعوة الى سفور الروح لقيت عناء في كل الدنيا .. فكما عانت المرأة خلف النقاب ، عانت الروح في بيوت النار والاصنام وفيود الكهنوت» ص ٨٢ .

ولقد مر « صلاح النجمي » بتجارب فاشلة وناجحة ، ولكن التجارب الفاشلة كادت أن تعصف به في بعض الاحيان .. وتشل قدرته على مواصلة التجارب ، واستطلاع الدروب لان الظلام القائم لا يحل في مكان دون آخر بل يخيم على الامكنة جميعا .. وشاب مثل « صلاح النجمي » يشعر بضعفه ازاء هذا الظلام القائم لا بد وان يصاب بالفئور والملل ان كثرت اصطداماته مع عوائق الطرق المظلمة ولم يسعفه أحد .. وتجربة الانتخابات النيابية بالرغم من أنها فشلت الا انها كانت تجربة حية ومثيرة ، صحیح أنها كادت تعصف به وتشل قواه الا انها بفضل « البدوي السيد » قد اقنعت بمواصلة السير في صبر وتؤدة وإيمان . فعندما عرف « صلاح » ان « طه النجمي » الاخ الاكبر .. قد باعه لخصمه .. ورجع الى القاهرة منتكسا حزينا ويائسا مشلولاً يقول له « البدوي السيد » قول المجرب الواعي :

« لا تنس أن بعض أتباع المسيح سلموه بعد العشاء الاخير عندما طلبته السلطة لتصلب .. وعلى كل حال منظر البقرة الساخطة على غلاف المجلة أعجبني .. اضحك يا صلاح .. خذها ببساطة .. فكلنا يقر ساخط » ص - ١٤٨ - .

ولست أدري لماذا تذكرني هذه الجولة الانتخابية التي فشل فيها « صلاح النجمي » بالفدر والخيانة ممن أوليناهم ثقتنا واعتقدنا لقربانهم منا أنهم لا يخونون ولا يقدرون ولا يجرحون مهما كانت الجفوة ومهما كان الخلاف ومهما كانت المفريات .. ان هذه الجولة الانتخابية الفاشلة تلح علي الحاحا شديداً بتلك الايام المثيرة والسوداء من يونيو ١٩٦٧ . ان هناك عوامل مشتركة بين الموقفين أو بين الصورتين . انها الضجة ثم الهتاف - وفي السر غدر وخيانة - ثم الصمت الحزين الرهيب !!

هذا الشهر

اعناق الجياد النافرة

ديوان جديد

لصاحب « في شمسي دوار »

الشاعر الطبيعي

فواز عيد

منشورات دار الآداب

ويبدو أن عبد الحليم عبد الله أراد أن يمثل دور الشاعر « نزار قباني » في عالم القصة مع الفارق .. فكلاهما ساخط ينقد الماضي بعنف وينعي لنا اللغة القديمة والفكر السائد ويكسر كل ما هو زائف تافه .. وكل بطريقته الخاصة .. إلا أن ماضي الاثنين يختلف ايجابياً وسلباً .. فإذا انتفض نزار على عالم المرأة والعشق والنشوة واللذة .. الذي كان يحياه .. فإن عبد الحليم يتجاوز العالم الذي انزل فيسه وتناول قضايا عاطفية واجتماعية محددة ، الى الواقع الاجتماعي كله كواقع يضم فيما يضم قضايا الفكر والحربة والسياسة وغيرها .

وهذا الانتفاض حسن ومقبول إلا انه يقف بنا عند حدود السخط والتحطيم ونفي الموتى .. ولا يعطي بعداً واضحاً للمستقبل ، وان كان يلوح من خلال أزمة « صلاح النجمي » امارات أمل تتلوق على مسا يسمى في القصة بحزب الفلاحين الذين يكدحون ويعملون . وهذه الامارات غير واضحة أيضاً بيد أنه يمكن تفسيرها بأخذ الحرية واتاحة المعرفة والتخلص من النفاق والزيف .

والمأمل لما أراد أن يقوله عبد الحليم عبد الله في هذه القصة يجده قد قال شيئاً وحس نفسه عن أشياء تحت تأثير العاطفة الملتهبة والاحساس المروع بالهزيمة والحزن والمرارة وما يشبه اليأس من شيء كان قائماً في عالمنا الاجتماعي ، وما زالت أنقاضه أمام العيون تهيب بالنظارة أن يحمل كل منهم ما يستطيع حمله كي يقام البناء الجديد على أساس نظيف !

وانني لاحس غموض الزمان في هذه القصة بالرغم من اشارات واضحة تدل على أنها في الزمن الذي غبر الا ان الكاتب ينسى نفسه غالباً أو هو يريد أن ينسى نفسه دائماً في الزمن الحاضر تائراً وانفعالا .. ولهذا كانت القصة ذات زمن غير واضح .. ولم أجد وصفاً أشم

منه رائحة مميزة لهذا الزمن .

ويبدو لي أن غموض الزمن ووضوح المكان يجعل القصة أقرب الى المسرحية أو يسهل عملية تحويلها الى المسرح هذا بالإضافة الى كون القصة مركزة جداً وأبعد عن العمل الروائي المترسل . ويمكننا لو حولناها الى مسرحية ان نرى الصورة المباشرة للبطل في مسرحية سعد الدين وهيب : « المسامير » .. فصالح النجمي عند عبد الحليم ريفي مثقف تمدن ورفع الكلمة في وجه القهر فانكس .. وعبدالله ريفي فلاح رفع البندقية في وجه القهر فانكس .. وكل من البطلين لم ييأس .. بل أفاق يجدد نفسه ويؤهلها لتمثيل العور من جديد على أرضية جديدة أصلب وأمتن !

وفي الحقيقة فإن الجرأة والاقدم على تناول القضية الراهنة - وهي قضية كل انسان يعيش في دنيا مصر ودنيا العرب - شيء محمود وشجاعة لا يستهان بها في عالم الادب المعاصر .. اذ ان كثيراً منا عاش يكتب اما شيئاً بعيداً عن قضايا الناس أو شيئاً يروج للزيف والقهر دون خوض في عالمنا الذي يعاني ويختلج ! واذا اعترض واحد وقال : ان صاحبك قد مزج القضية في أسلوب رمزي مثالي .. ولم يتناول الامور في واقعية واضحة فاننا نقول ان هذا لا يفض من قيمة العمل الفني فكراً .. « وفي البدء كانت الكلمة » والرمز مرحلة للوضوح ومجرد التناول يشجع على خوض الاعماق فيما بعد .

على أية حال فإن « صلاح النجمي » خاض التجربة التي خضناها .. وذا ضاع زمان فسوف يأتي زمان باقي يهتف في اعماقنا ويقول : هيا أيها الساخظون .. تقدموا الى الدرب وسيروا عن وعي وفي حرية لعلمكم تجنون ما يرضيكم .

حلمي محمد القاعود

دمهور - مصر

صدر حديثاً

العمل الفدائي

انه ارشاد تطبيقي يسر لمزاولة حرب المقاومة الشعبية والعمل الفدائي على أرض يحتلها العدو . ويرفض أهلها الاستسلام . فيه نظرة تاريخية وتقييم ممتع للعمل الفدائي: أصوله، وطرائقه، والاساليب الاجدى في الدعوة اليه وممارسته والظفر بعد أدائه . وهذا ما نحن في الوقت الحاضر في أمس الحاجة اليه . فالمؤلف رجل خبر حرب المقاومة الثورية والانتفاض على مختلف أعداء الشعب في أميركا اللاتينية والحرب الاهلية الاسبانية ، وهو يضع جميع خبراته في متناول اليد لكل من يود الانتفاع بتجارب السابقين . كما ان الترجمة سهلة متبسطة لا يعترتها التباس .

انه كتاب كل مواطن ، الفدائي للمناقشة والتطبيق ، والمواطن العادي للتأهب كي يكون فدائياً يوماً ما . لهذا نجده يشرح أفضل السبل لنصب الكمائن ولغم العسربات المجنزرة ونسف مستودعات الذخيرة والتخلص من أفراد دوريات العدو . وفيه كيف يعيش الفدائي ورجل المقاومة ، وماذا يلبس في كل فصل ، وكيف يسلك مع الغير .

انه ثروة جاهزة للاخذ والتطبيق .

الناشر : دار الآداب بالاشتراك مع دار العلم للملايين

الثمن ٢٠٠ ق.ل.